العليا، وانثناء حديد قصبانها، ولكن صورة أخرى لجانبه الغربي تكشف عن حقيقة ما حدث للمبنى، سقط السقف وانهار الحائط كاشفا عن أنقاض أربعة طوابق متراكبة، سقوف سقطت على أرصيات، وأرضيات حملت معها السقوف وهوت بكلها أو ببعضها تاركة نافذة أو جزءا من جدار أو كتلة من الإسمنت تبرز منها أسياخ حديدية عارية وبلا معنى. لم يعد المبنى سوى مجرد هيكل واجهة وأنقاض.

توقف عن الكتابة، جمع كل ما لديه من كتب حول الحريق. قضى اليوم في تصفحها وإعادة قراءة أجزاء منها، ثم وضعها جانبا وفتح دفتر مسوداته. حصر أسماء المنشآت التي أحرقت، صنّفها إلى ثلاث مجموعات أساسية: بنوك ومتاجر ومحلات تخص الإنجليز وبعض الأوروبيين؛ متاجر أثرياء اليهود؛ دور سينما وبارات (ركز إعلام حزب مصر الفتاة وأحمد حسين زعيم الحزب، كما ركز الإخوان المسلمين على دور البارات والسينمات في صرف الشباب عن القضية الوطنية ودورهم في الكفاح).

تحت «ملحوظات» كتب:

تتردد كلمة غوغاء بكثرة تثير الاندهاش وتشكل قاسما مشتركا بين من تناولوا الموضوع على اختلاف انتماءاتهم: الليبرالي والقومي والشيوعي، صاحب المبدأ وصاحب الحكومة الذي يتبدل بتبدلها، المؤرخ المدقّق وكاتب المقال الصحفي السريع، ولكن الغوغاء أحرقوا نادي التُرف ولم يمسّوا المعبد اليهودي الملاصق له. لم يحرقوا المعبد اليهودي، وأحرقوا محلات شيكوريل وأوريكو وشملا وشالون وبن زيون التي يمتلكها يهود، أحرقوا جروبي سليمان ولم يحرقوا محل سمعان صيدناوي المقابل له في الميدان.

عاد لملف الصور. أمعن النظر في صور بعينها سبق أن استوقفته، تمنى لو كانت أكبر وأوضح ليحسم الشك باليقين: الصورة الأولى تظهر مدخل جروبي عدلي والعمارة الملاصقة. محل حسن حنفي للخياطة، لا يبدو